
ادب النديم

من عطايا الملك المنان لعبده الفقير
علي بن السيد محمد بن السيد علي [illegible]
سنة ١٣٠٤

ادب النديم

لأديب زمانه وأريب عصره وأوانه

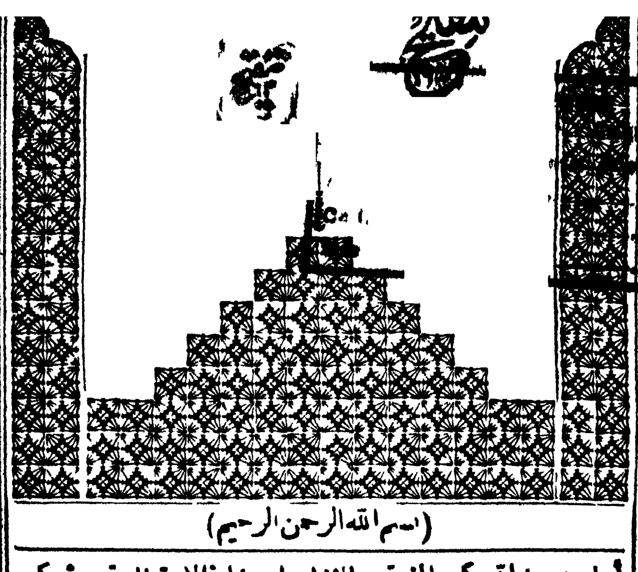
أبي الفتح محمود بن الحسين الكاتب

المعروف بكشاجم لا زال

منهلا عليه احسان

ربه الكريم

الدائم



(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد حمد الله بكنه النية والثناء عليه بغاية الاستطاعة وشكره
على ما خص به أهل الادب من الفضيلة وأحلهم اياه من المنزلة
الرفيعة لالتئامهم بالنفوس وتمكنهم من القلوب وتنزههم عن
العيوب فانى وجدت من تقدم من العلماء وعنى بتأليف الكتب
من الادباء قد جردوا بذكر الشراب كتبا ضمنوها من نعوت
أصنافه وأوصاف محرمه ومحلله وتبيين خصاله ولطائفه وحدود
منافعه ومضاره وضروب ملاذه ومساره وما استغرقوا فيه المعنى
واستوفوا به المدى وأغفلوا ذكر النديم بما يجب ذكره والتنبيه
على منزلته وموقعه وافراده من القول بما يبين عن فضله ويدل على
محله الا فى جمل أدرجوها ولم يبسطوها ولمع فى أطراف الكتب
فرقوها ولم يؤلفوها (فاحببت) أن أجرد فى ذلك كتابا أفصله

وابوبه

وأبوبه وأوفى كل معنى فيه حقه وأضم الى كل شكل شكله وأجمع الى ماأستطيبه القريحة أحسن ماوجدته فى هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ومنظوم الشعراء ومنثور البلغاء وأخبار الظرفاء وأودعه من أدب النديم مالايستغنى عنه شريف ولايجوز أن يخل به ظريف ليكون منهجا واضحا لمن تطرفه واماما يقتدى به من وقع اليه واسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال والسلامة من الزلل والعثار بمنه وقدرته

باب مدح النديم وذكر فضائله

وذم المنفرد بشرب النبيذ

(أخبرنى) جماعة من الموثوق بهم فى اللغة ان العرب انما سمت النديم نديما لانه يندم على فراقه ونخر امرؤ القيس مع شرفه وملوكيته بالندام فقال

ونادمت قيصر فى ملكه * فأوجهنى وركبت البريدا

وقال المتقدمون كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله وقالوا اذا رأيت عملا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانه يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستظرف نديمك فانما يزنك الداخل اليك بمثال من يراه معك * وفاخر كاتب نديما فقال الكاتب أنا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للخدمة

وأنا للمداوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وأنت تحتشم وأنا مؤانس تداب لراحق وتشقى لسعادتى فأنا شريك وأنت معين كما أنك تابع وأنا قرين الاآن بعض الخلاء يقول

اذا وجدت المدام فاغن بها * عن كل من فى ندامه ضعف
فى شربها من ندامه خلف * وليس فيه من شربها خلف
فلا يشاركك فى السرور بها * مشارك كل شركة أسف

فما زاد بهذا القول على أن بين مكانه من البخل والجهل بل هو فى ذلك كما قال أبو نواس * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء * ولعمرى ان للنبيذ الفضائل التى لا تدفع والخصائص التى لا تجحد والقوى التى تعكس الاضداد وتعدل المزاج وتصحح الطباع وهو الموصوف بتشجيع الجبان وتقوية الجنان واطلاق اللسان وتبسيط البنان الاآن فيه بازاء هذه الخلال أشياء تقدح فى محاسنه وتبين عن معايبه منها أن صاحبه يتكرهه قبل شربه ويكلح عند شمه ويغتم أن يفضل فى قدحه ويكثر عتاب ساقيه ويعاقر عليه ويمزجه ليغير طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويستعذب النقل بعده ويعانى من الدوار والخمار ما لا خفاء به حتى لقد قال بعض الادباء لولا أن الخمور يعلم قصته لقدم وصيته ثم السكر هو أكبر عيوبه حتى ان الملل كلها مجمعة على تحريمه غير مختلفة فيه وحتى لقد حرم الخمر فى الجاهلية جماعة من كبراء العرب وأفاضلهم لما نالهم من معرة السكر منهم قيس بن عاصم السعدى وعامر بن الظرب العدوانى وعفيف بن معديكرب ومقيس بن

صبابة

صبابة السهمي وعبدالله بن جدعان وكثير من هذه الطبقة نكره الاطالة بذكر أسمائهم فلقيس بن عاصم في تحريمها

رأيت الخمر مصلحة وفيها * خصال تفسد الرجل الكريما
لان الخمر تفضح شاربيها * وتجنيهم بها الامر العظيما
اذا دبت حمياها تعالت * طوالع تسفه الرجل الحليما

وقال مقيس بن صبابة

رأيت الخمر طيبة وفيها * خصال كلها دنس ذميم
ولا والله أشربها حياتي * طوال الدهر ماطلع النجوم

فأما مقيس بن صبابة فانه كان سكر فجعل يخط ببوله ويقول نعامة أو بعير فلما أفاق اخبر بذلك فحرم الشراب * وأما عبدالله بن جدعان فانه سكر وجعل يساور القمر فلما أصبح وخبر بذلك حرمه أيضا (وقيل) لاعرابي تشرب النبيذ قال أشرب مايشرب عقلي وقيل لبياذوق لم تركت النبيذ فقال رأيت صاحبه لايروى منه ووجدت بعضه يدعو الى بعض فتركت قليله لكثيره * وممن كان يشربه للشهوة الغالبة فقط ولايبالي على أي الحالات شربه منفردا وحده أو مجتمعا فيه مع غيره جماعة لايتهمون في عقل ولا رأي الا أن افراطهم في هذه الشهوة ابطلهم وغلب عليهم ففسدت حال دنياهم ودينهم منهم أبو الهندي شبث بن ربعي التميمي ومر به نصر بن سيار الليثي وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال لولم أفسد شرفي لم تكن أنت والي خراسان * وحارثة بن بدر الغداني وكان غلب على زياد وغلب الشراب عليه فعوتب زياد في الاستشارة به فقال كيف

أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق فلم تصطك ركباه بركباي ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخرعني فلويت عنقي اليه ولا أخذ علي الشمس في شتاء قط ولا سألته عن باب من العلم الا ظننت أنه لا يحسن غيره * والوليد بن عقبة وكان أميرا على الكوفة فصلى بهم صلاة الفجر ثلاثا ثم التفت اليهم في وقت التسليم فقال أحسبكم وأزيدكم * وأبو محجن الثقفي وكان مجربا مغرما بالشراب وله مع سعد بن أبي وقاص في الشراب أخبار يطول شرحها ومن لم نذكر أسماءهم من هذه الطبقة كثير فاذا كانت هذه صورة النبيذ فانما يغتفر له ما ذكرنا ويتجوز فيه ويتجافى عنه لما بني عليه وجعل سببا اليه من اجتماع الشمل وأنس المنادمة وأريحية المذاكرة ولو انفرد النبيذ بنفسه وحصل عليه وحده دون النديم المساعد والسماع المطرب لكان الوعاء أولى به فقد تبين بهذا أن المعاقر أفضل من العقار والنديم فائدة المدام وأنشدني منشد

لم يكن بيننا رضاع ولكن * ولدت بيننا المدام رضاعا
ان يكن أول المدام رضاعا * أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هنات * وصفها بالسرور لن يستطاعا

ومن جيد ما مدح به النديم قول بعض المتقدمين

أرى للكأس حقا لا أراه * لغير الكأس الا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه * رحى اللذات في الزمن القديم

فأما قول أبي نواس أمير هذا الشان وفارسه

خلوت بالراح أناجيها * آخذ منها وأعاطيها

نادمتها اذلم أجد مسعدا * أرضاه أن يشركنى فيها

فهذا بعد انما يدل على فضل النديم وانه لم يتفرد بالنبيذ مختارا وانما توحد به ضرورة لقوله انه لم يجد نديما مرتضى أو ليس هو القائل

الراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس

ولم تقع أبيات فى مدح نديم أحسن من قول أبى تمام الطائى

وندمان يزيد الكأس طيبا * سقيت وقد تغورت النجوم

وللعطوى أشعار كثيرة فى الندام كلها مختارة فمنها

يقولون قبل الدار جار موافق * وقبل الطريق النهج أنس رفيق

فقلت وندمان الفتى قبل كاسه * وما حث سير الكاس مثل صديق

وقال أيضا

الراح والندمان أحسن منظرا * من كل ملتف الحدائق رائق

فاذا جمعت صفاءه وصفاءه * فاقذف بكل ملامة من شاهق

ولقد ملح عصابة الجرجانى فى قوله

اقرا السلام على الامير وقل له * ان المنادمة الرضاع الثانى

باب اخلاق النديم وصفاته

وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم هو أولى باستجماع محاسن الاخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب التحف من النديم حتى انه يحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة فيكون فيه مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو

مضطرا اليها في حال لا يحسن أن يخل بها فيها او وقت لا يسعه العدول عنها والى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذي ينادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه ويعلم من معاني لحظه واشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته والافصاح به فيسبقه الى شهوته ويبدره الى ارادته كما قال بعض الكتاب

ونديم حلو الحديث يجاريـ ... ـك بما تشتهيه في ميدانك

ألمعي كأن ذلك في اضـ ... ـلاعه أو كلامه بلسانك

ومن صفة النديم أن يجمع الى الصبر على مضض الجوع احتمال كظة الازدياد على الشبع لانه مدفوع الى مؤاكلة أحد رجلين اما سخي شديد المحبة لان يؤكل طعامه فطالبه بالاكثار ومساعدته عليه ومساواته فيه فاذا فعل ذلك حظي عنده وقرب من قلبه بالمؤاكلة فان قصر أنزل ذلك منه على التجميل له وتعمد التنغيص عليه فيكون حاله فيه كحال محمد بن عبد الملك الزيات فانه قال أعين على أحمد بن أبي دواد بأشياء لم أعن عليه بمثلها حتى انه أعين على تمكن حاله عند الواثق بأنه كان طيب الاكل طحون الضرس هضوم المعدة وكنت على خلاف ذلك فحضرته يؤاكل الواثق وليس معهما ثالث ودعاني الواثق الى الطعام فاقبلت أقصر على حسب عادتي وخمود شهوتي وهما يتباريان في تكبير اللقم وجودة الاكل فلما رأى أحمد ذلك مني قال يا أمير المؤمنين ما جلوس هذا المحتمي معنا يحصي علينا اللقم اما أن يأكل كما نأكل فيوفينا حق المؤاكلة ولم يحتشمنا أو ينهض فنتفرد بمؤاكلة أمير المؤمنين من يحسن حضورها ويقابلها

بما يشبهها فقال الواثق قد صدق أحمد فكل أودع فما عالك أن
نهضت أو اثيم طعامه عنده بمنزلة سمعه وبصره فان أسرع فيه
أو تناول أطايبه فكأنما يأكل من جوارحه فهو مضطر الى أن
يجاهد نفسه ويغالب طباعه حتى يألف هاتين الحالتين ويجري
على هاتين العادتين فيكون حينئذ أتم في آلات المنادمة وأقهر
لسلطان الشهوة ممن يعقد على تقديم الاكل في منزله ويتمال بمثل
ما رأينا جماعة من المترسمين بالمنادمة يستعملونه من اتخاذ المخازن
مملوءة أدهانا في خفاف غلمانهم أو لففات مدرجة في المناديل اذا
أمكنهم ذلك فاذا مضهم الجوع وشحذهم الشراب تغفلوا الغفلة
وانتهزوا الفرصة فتناولوا ما أعدوا من ذلك في الخلوات وربما كان
في المذاهب وما أشبهها من المواضع الخسيسة وكل ذلك قبيح جدا
وفيه أشياء مذمومة منها انه لا يؤمن أن يطلع عليها بعض حاشية
المنادم فينميها اليه فيوغر بقلبه ويحفظه ويرى أنه في ذلك الفعل
قد هجاه وبخله لانه ليس كل ذي خلق دنيء يعترف به من نفسه بل
كثير من ذوي العيوب يعمى عن عيوبه أو يتعذر الموضع الذي
يؤخذ مثل ذلك فيه فيناله جسمه من الضرر بمفارقة العادة وفقد
النفس شيئا قد تطلعت اليه وتشوقت له اما بعلة ومرض أو يحلفه
رئيسه ويقسم عليه أن لا يأكل الا معه فيضمن له ذلك ويعده به
ويخالف فيكون قد خان ونكث * وكان عيسى بن جعفر الهاشمي
يفعل هذا مع الرشيد كثيرا وكان الرشيد يغلبه عليه ويذمه
ويبكته به فمن ذلك أنه قال له في بعض العشيات وبجماعة من جلسائه

قد اشتهيت أن آكل في صبيحة غد هريسة وقد تقدمت باتخاذها
ولا يخلط بها غيرها فاعملوا على البكور واجوا أنفسكم الشهوة
ووفروها على الهريسة وكان بعضهم ملازما لعيسى خصيصا به
فحكى انه غلس الى منزله ولم يكن يحجب عنه فألفى عيسى جالسا بين
يديه بقية شمعة وطبق كبير عليه طيفوريتان عظيمتان احداهما
مملوءة هريسة وفي الاخرى ثلاث غضارات صينية فيهن مرى
ودارصيني وفلفل ورقاق لطاف لا تنفصل عن الكف وهو يأخذ
الرقاقة فيلوثها ثم يمرها على تلك الغضارات ويزدردها قال فقلت
يا سبحان الله أنسيت ما اتفقت عليه مع أمير المؤمنين فقال لا تعجب
فهذه الطيفورية الثالثة فامسكت يده وجذبت الطبق وجبرته
على غسلها وركبنا فوافينا أمير المؤمنين جالسا على حصير الصلاة
حين انفتل من صلاته وهو يتمم تسبيحه وروائح الهريسة قد
ملأت الدار فقال اقعدا بطأتما ودعا بالطعام فاحضر فاندفع عيسى
يأكل كأنه لم يذق شيأ منذ أيام فلم أتمالك أن ضحكت فقال الرشيد
ما هذا قلت لأصدقن أمير المؤمنين عن خبر عيسى قال ايه قلت كان
من أمره كيت وكيت قال أتراني شككت في انه يفعلها اعلم انه لو لم
يفعل لا كافى وأكان • فاما العبث والمزاح فله من المنادم موقع
لطيف ومحل خصيص اذا تبين النديم منه نشاطا لذلك وقال قائل
للمأمون أيأذن أمير المؤمنين في المداعبة قال وهل العيش الا فيها
(وقدم) العتابي عليه وعنده اسحق بن ابراهيم الموصلي فسلم ورد
عليه وجلس وأقبل يسأله عن حاله ويجيبه بلسان طلق فاستظرفه

واحد

وأخذ معه في مداعبته فظن الشيخ أنه قد استخف به فقال يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس ثم أخذوا في المناوضة والحديث * وأغرى المأمون اسحق بالعبث بالعتابي فاقبل يعارضه في كل ما يذكره ويزيد عليه فعجب منه ثم قال اياذن أمير المؤمنين في مسئلة هذا الانسان عن اسمه ونسبه قال افعل فقال العتابي من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمي كل بصل فقال العتابي أما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء قال اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم من الاسماء البصل أطيب من الثوم فقال العتابي لله درك ما أرجحك ما رأيت يا أمير المؤمنين كالرجل قط أفيأذن لي في صلته بما يصله به أمير المؤمنين فقد والله غلبني فقال المأمون بل هو موفر عليك وتأمر له بمثله وتم ضاقا فانصرف اسحق بالعتابي الى منزله ونادمه بقية يومه * ومما يزيده في المحل تقدما وعند ملكه ورئيسه تعظيما وتمكنا أن يكون عالما بكل ما يتنافس فيه الملوك ويغالون فيه من الرقيق الثمين والجوهر النفيس والآلات المحكمة وأنواع الطيب والفرش الى غير ذلك من الخيل والسلاح وسائر ما يهدى مثله الى الملوك في مجالس لذاتهم وتعرض عليهم أوقات نشاطهم فمن أبرد من النديم مجلسا وأكسف منه بالا اذا عرض على الملك شئ من هذه الاعلاق فاعتمد فيها على معرفته واستعان على تخيرها ببصره ورجع في استفادتها الى نظره وتفقهه فلم يحر جوابا في ذلك ولم يحط بشئ منه علما * ويستظرف منه أن يصف اللون الغريب من الطبخ والصوت البديع والشعر الشجي واللحن من

الغناء ورأيت الملاح من أهل هذه الطبقة يقولون ان من لم ينشد عشرة أصوات ويحكم من غرائب الطبيخ عشرة ألوان لم يكن عندهم ظريفا كاملا ولا نديما تاما ولقى من الكتاب فى هذا المعنى

تعالوا الى الخل الذى لم يزل بكم * يطول على ريب الزمان ويشمخ
فقد حصلت عندى لكم فتعجلوا * ثلاث دجاجات سمان وأفرخ
وراح وريحان ومسك وعنبر * نبخر أحيانا به ونضمخ
ومسمعة كالبدر تشدو بصارخ * تهاوى القلوب نحوه حين يصرخ
وها أنا ذا طباخكم ولربما * رأيت ظريف القوم يشدو ويطبخ
سوى انه لا يقطع اللحم كفه * ولا هو ان لم توقد النار ينفخ
وانى لاستخذى لاهل مودتى * وأزهى على أهل المعالى وأبذخ

ولا يستحق النديم هذا الاسم حتى يكون له جمال ومروءة أما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأما مروءته فكثرة حيائه فى انبساط الى جميل ووقار مجالسه مع طلاقة وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة وقيل للعتابى ما المروءة قال ترك اللذة قيل له فما اللذة قال ترك المروءة

باب التداعى للمنادمة

قد آثر بعض الظرفاء من اسقاط التصنع فى هذا الباب ما هو أليق بالمؤانسة وأنفى للانقباض والحشمة ولو لم يكن فى الاحتفال من النقيصة والاقتضاب من الفضيلة الا أن المحتفل قد ضيق العذر على

نفسه في تقصير ان كان منه والمقتضب مغتفر له ذلك لكنى به
(وروى) ان رجلا دعا أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام
فقال آتيك على أن لا تدخر عنا ما عندك ولا تتكلف لنا ما ليس
في وسعك (وقال) المأمون لجعفر بن سليمان الطيب والطعام
لا يزيد في جودتهما كثرة الانفاق عليهما ولكن اصابة المعنى وكتب
الى صديق لى

قم بنا نقتضب صبوحا مليحا * يسعد الله لى بك اليوم جدى
لم أبيت له اعتزاما ولا قلت غدا كن فدتك نفسى عندى
فهو طيب بارد موقعا كحبيب * جاءنى زائرا على غير وعد

(وحدثنى) بعض شيوخنا عمن حدثه أن ظريفا من الكتاب احسبه
الحسن بن سهل بلغه أن عبد الله بن يزيد عشيق أبي تمام الطائى
الذى يقول فيه

يا سمى النبي في سورة الجن ويا ثانى الولاة بمصر

احتفل لدعوة دعاها احتفالا شديدا وتعمل لها حتى اشتهر أمرها
قبل وقوعها فكتب اليه أما ارتفعت عن تبييت الدعوات بعد
(ودعا) محمد بن عبد الله بن طاهر رجلا من أصحابه دعوة تقدم فيها
فاحتفل لها فلما حضر محمد طالبه بالطعام فطاوله ليتكامل ويتلاحق
على ما أحبه من الكثرة والحفلة حتى تصرم أكثر النهار ومس محمدا
الجوع فتنغص عليه يومه وأراد محمد سفرا فشيعه هذا الرجل حتى
اذا دنا منه ليودعه قال له أيأمر الامير بشئ قال نعم تجعل طريقك في
عودتك على محمد بن الحرث بن بخير فتسأله أن يعلمك الفتوة فمضى حتى

دخل الى مجـدبغته فقال له بمثنى اليك الامير لتعالى الفتوة فضحك وقال ياغـلام هات ماحضر فاتى بطبق كبير عليـه ثلاثة أرغفة من انظف الخبز وأنقاه وسكرجات مرى وخل وملح من اجود ما يتخذ من هذه الاصناف وابتدأ يأكل فجاءته فضيلة باردة من مطبخه وتداركها الطباخ بطباهجة و وافاه من منزل حرمه فضـيلة اخرى واهـدى له بعض غلمانه جام حلواء فانتظم له خفيف ظريف فى زمان يسير و بغير احتشام وانتظار (وسمعت) بعض الاغنياء يعتذر من ترك التحفل بعذر ما حسن الاعتذار قط الامن مثـله وذلك أنه قال ما يمنعنى من الاحتفال الا الاستظهار فقلت له وكيف ذلك قال أكره ان أحتفل فيتأخر عنى من ادعوه اما عن عمـد اوعائق فأكون قد تكلفت مالم ينتفع به فقـال فى ذلك بعض اخوانه

اذا كنت لاتدع الاحتفا ل الا لكى تستظهر
فلا تدعون احـدابتة * فهذا هو النظر الاوفر
ولاسيما انا من بينهم * فانى وحقك لا أحضر

(وكان) آخر لا يشرع فى شئ من آلة الدعوة حتى يحضر اخوانه و يأمن تاخرهـم فحينئذ يامر باصـلاح ما يحتاج اليه على مقدار قد عرفه فـلا يلحق طعامه حتى يتصرم يومهـم وتضطرم نار الجوع فى احشائهم فقال فيه بعضهم

خاف الضـياع على شئ يعجـله * من المطاعم اذ اخوانه نقـلوا
فليس تعلو على الكانون برمته * حتى يرى أنهم فى البيت قد حصلوا

(وخبرنى) بعض من أثق بصدقه عن بعض البخلاء انه دعا قوما فابتاع

لهم جديا وأشفق من ان يذبحه فلا يحضر وافتخر الجدى فنوره وعمل على أنهم ان حضروا ذبحه واحضره كهيئة المسموط وان تاخروا استحياء ولم يذبحه وليس هؤلاء بافراطهم فى هذا الاستظهار القبيح والنظر الرقيق بالذم ممن يدعى فيجيب ويحصل ذلك على نفسه ويوثق منه بالوفاء به ثم يتثاقل عن الداعى الملهوف حتى يجيعه ويجيع اخوانه ويشلم عليه عمره ويبرد عليه طعامه ويرد غلمانه ويطيل التشوق اليه لجزاء هذا عندى بعد الاستظهار عليه بالحجة واعادة الغلام اليه بالرسالة أن يستاثر اخوانه بالمؤا كلة دونه متعمدين بذلك الاستخفاف به ليؤدبوه ان كانت به مسكة ويذموه ان كانت له فطنة وقد جاء فى الخبر المأثور فى اجابة الدعوة وترك التاخر عنها ما جرى مجرى الفرض الواجب وهو قول النبى عليه السلام من دعى الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل وان كان صائما فليصل والصلاة ههنا الدعاء مثل قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا أى لا تدع لهم ولا تترحم عليهم فاذا كان الصائم قد أمر بالحضور فكيف بالمفطر ومن قد أجاب وتالى ذلك من فى تياه فكتبت اليه

تاخرت حتى كذبت الرسول * وحتى سئمت من الانتظار
وأوحشت اخوانك المسعدين * وبخستهم بشباب النهار
واضرمت للجوع احشاءهم * بنار تزيد على كل نار
فان كنت تأمل أن لا تسب * فانت وحقك عين الحمار

وكان يقال ثلاثة تضنى سراج لا يضئ * ورسول بطئ * ومائدة ينتظر

بها من يجيء وقال آخر المودة شجرة ثمرتها الزيارة وقال آخر المودة روح والزيارة شخصها وكتبت الى صديق لي دعوته فتثاقل عني واعتل بعارض عله

بابي أنت تباغضت * وما كنت بغيضا
يا أنى منك جواب * كان للعهد نقيضا
أنت لم تمرض ولكن * أحسب الود مريضا
ولقد فاتك لهو * لست منه مستعيضا
ومدام شاكلت في الكاس ياقوتا نضيضا
وحديث ونشيد * شاب نحوا وعروضا
وغريض من غناء * فاق في الحسن الغريضا

وكتبت الى آخر

كتبت وعندنا روح وراح * واخوان تحيهم ملاح
وبيضاء السوالف ذات عود * يناغيها غانية فصاح
واحور من ظباء الروم ساق * كغصن البان تثنيه الرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحا * ولكن ما لموعده نجاح
له طرر نصف على جبين * كمثل الليل قابله الصباح
تحلى بالمناطق وهو ممن * يليق به القلائد والوشاح
وساطعة الشعاع رضاب نحل * حلال الشرب ليس بها اجتناح
وللوسمى بالقطر ابتدار * وللشرب ابتهاج وارتياح
شرابهم سرور وادكار * وشدوهم اختيار واقتراح
وبين الضرب والاوتار حرب * وبين الناي والراح اصطلاح

فزرنا غير محتشم تزرنا • بزورتك المكارم والسماح

(ومر) بعض النبيذيين بجدي سمين فقال ليت شعري اغايان من هذا فسئل عن معنى قوله فقال يؤخر اصحابنا الجدي فلا نصل اليه وفينا فضل له ويفوز الغايان به (وخبرت) أن بعض المتقدمين كان يذكر ما يصنع لاخوانه من الطعام في رقعة ويعرض عليهم فمن استطاب لونا حبس نفسه عليه • وروى ان زيادا كان يقول ما انفردت برغيف قط حتى يشركني فيه غيري ولا كانت طعاما قط الا بشهوة من يكون معي وانا ارى ان بغتني الزور وفاجأني الصديق أن اشافهه بوصف شيء ان كنت تقدمت باصلاحه وان قل واشهيه ولا أحتشم ان اقترح متعذرا ان آونسه وأقترح في منزل صديق ولا اسومه ما اعلم ان حاله لا يحمله فان استدعيت من الطباخ شيا عرفته بالالف واللام ولم اجعله نكرة كما يحكى عن بعض المتكبرين من المموهين ودعا قوما فقال لغلامه في آخر طعامه هات حلوا ان كان عندك فقال له الغلام وكان عليه مدلا ما عندي الا الفالوذج الذي عقدته بيدك • ودعا رجل رجلا فقال له هل لك ان تصير معي الى المنزل فنأكل خبزا وملحا فظن الرجل ذلك القول منه على المجاز فمضى معه فلم يزده على الخبز والملح شيا فبينماهما يا كلان اذ وقف سائل بالباب فرده صاحب المنزل مرارا فلم يبرح والح فقال له ان انصرفت والا خرجت اليك فهممت فالك قال فقال له المدعو يا هذا انصرف فانك لو عرفت من صدق وعيده مثل ما قد عرفت من صدق وعده ما تعرضت له

باب الشرب وكثرتهم وقلتهم

فاما كثرة عدد الشرب وقلتهم فهم يسمون الاثنين منشارا ويكرهونهما وكان الثلاثة أتم مجلسا لان الاثنين ينهض أحدهما لبعض شأنه فيجم الآخر وينفرد وربما عرض له الفكر فلا يكون لجيبه من تخالفه في مؤانسة وليس كذلك أمر الثلاثة وعند الاربعة أحسن لان الثلاثة اذا اشتغل الاثنان بالحديث لا يعرف الثالث سببه وابتداءه يحتشم لا محالة ويمقت نفسه والاربعة يتكافئون فهم أركان المجلس وفي الاربعة يقول بعض الكتاب

ثلاثة أصفيتهم هوائي * كأنهم كواكب الجوزاء
عطارديون يرون رائي * كأنما هواؤهم هوائي

وانما ذكر ثلاثة هو رابعهم وقال آخر

ثلاثة جمعوا الي في ثلاثتهن * وكنت رابعهم يوم الثلاثاء

وقال آخر في الثلاثة

ان الثلاث تدعونا اذا ما دعوتنا * دعائم ود مستبين على نهر
فلا خير في الندمان الا ثلاثة * سواء كأمثال الأثافي من القدر

وقال آخر في وصف الندامى من واحد الى سبعة

ان المعاقر كاسه متفردا * من صحبه نحس لئيم أرجس
واثنان يشتد الندام عليهما * وثلاثة بهم يطيب المجلس
ولقد يلذ حديث أربعة لهم * فيطيب مجلسهم معا والانفس
والغاية القصوى أراها خمسة * في دورهم نفس لمن يتنفس

واذا

واذا هم كثروا انصاروا ستة * عطشوا الحبس الكاس ساعة يحبس
واذا تجمع سبعة فى مجلس * سخنت لهم دون السعود الانحس
وظللت فى سوق المرا معسكرا * وترى حلومهم بجهل تخلس

و يتجوز المعاشرون فى الطعام ولا يتحملون كدر الشراب وغلظه ويسير الرائق الجيد من الشراب يعفى على مقصر الطعام والكثير من غليظ الشراب يفسد كل ما بولغ فيه من شريف الطعام و زمان المشاربة أطول من زمان المؤاكلة وقال الحسن بن هانئ فى مدح رائق الشراب وذم غليظه

من شراب كأنه نظر المعشوق فى وجه عاشق بابتسام
لا غليظ تنبو الطبيعة عنه * نبوة السمع عن شنيع الكلام

وقال الوليد بن عبيد البحترى

تركت منه س قطر بل * وبرعتنا دقل الدسكره
اذا صب مسودة فى الاناء * فكاس النديم به محبره

وقال على بن العباس الرومى

على أحد من الدوشاب * شربة نفست سواد الشباب
لو تراني وفى يدى قدح الدو * شاب أبصرت بازيا رغراب

ولى فى هذا المعنى

لابى الفضل شراب * جيد ليس يعاب
هو فى حال طعام * وهو فى أخرى شراب

باب السماع

فاما السماع الطيب فلو اقتصر به عليك داعيك من دون كل

مأكول ومشروب لقضى حقك واحسن صوتك وتعويضك ويشهد بتحقيق ذلك خبر الداعي في البيتين اللذين سمعه سامع يتغنى بهما وهما

وكنت اذا ما زرت ليلى بارضها
أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما قضت احدوثة لو تعيدها

فطرب وأعجبه حتى مال اليه فاستعاده فاعادهما وقال والله لو كان عندي قرى ما أعدتهما وقال آخر

لابي جعفر سماع عجيب * جمع اللهو فيه والاطرابا
فالنداي به غنيون عن ان * يبتغي مطعما لهم وشرابا

وذلك أن الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم كما أن لذة المأكول والمشروب تخص الجسم دون النفس (وقالت) الحكماء الغناء فضلة في المنطق أشكلت على النفس فاخرجته ألحانا فاقول انها الى الالحان أميل اذ كانت هذه سبيلها أشد اصغاء منها الى ان قد تميزاها وصح معناه عندها من سائر منطقها حرصا على معرفة غامضها وشوقا الى استفتاح منغلقها وهي الى تعرف مالم تعرف اتوق منها الى ما قد عرفت وكذلك المثل العجيب والبيت النادر كلما دق معناه ولطف حتى يحتاج الى اخراجه بغوص الفكر عليه واجالة الذهن فيه كانت النفس بما يظهر لها منه أكثر التذاذا وأشد استمتاعا عما تفهمه في أول وهلة ولا يحتاج فيه الى نظر وفطنة وليس الاشير فهما وبعد غايتها (وأقول) أيضا كما أن الالحان

أشرف المنظوم فكذلك النفس الطروب اليها المستخف لها أشرف الانفس وكل ذى ذهن لطيف ونفس فاضلة أحرص على السماع وأحن اليه بالمشاكلة (وكتبت) الى بعض من كان يزهد فى السماع

ان كنت تنكر أن فى الالحان فائدة ونفعا
فانظر الى الابل التى * هى ويك اغلظ منك طبعا
تصغى لاصوات الحدا * فتقطع الفلوات قطعا
ومن العجائب أنهم * يظمونها خمسا وربعا
فاذا توردت الحيا * ض وشارفت فى الماء كرعا
وتشوقت للصوت من * حاد تصيخ اليه سمعا
ذهلت عن الماء الذى * تلتذه بردا ونقعا
شوقا الى النغم التى * أطربنها لحنا وسمعا

وحق من أمتعك بسماعه واشركك فى اخص لذاته وسوى بينك وبينه فى استماع نغمه من لعله يغار عليه من ظله ان تجعل ثوابه على هذه التكرمة غض طرفك عن الجهة التى تلى الستارة والناحية التى تاتى منها النغمة حتى لا يكون باطن الستارة باخفى عنك من ظاهرها ولا تقتاح ان يخرج بك الطرب عن حد الحرية والادب فتلج بالاقتراح وتتحقق بالعلم بالغناء والحذق بالاعراب فتتبع العثرة وتترصد الهفوة فان سمعت مجازا احتمله وان مر بك زحاف عبرته ووزنته وقد قيل النصح بين الملا تقريع ومن قل علمه كثر رده والعربية أكثر من أن يخطئ فيها متكلم وأنفس القينات آبية

ومعهن أنفة وحمية فمن استعمل معهن هذا فهو أبدا عليهن ثقيل وعندهن مقيت لا يعدم أن تراقبه الواحدة وتكايده فتمال ان حضر وتعدل عما استحسن فتقطع الصوت عند اتصاله وتتربص بجيد الغناء لانصرافه ولبعض أصحابنا في غض الطرف عن الستارة

انى على ماقد من * عهد الشبيبة والنضاره
لأغض من طرفي وبا * منق النديم على الستاره
وأعف خلق الله عن * جار أصافيه وجاره

(وكتبت) الى بعض أصدقائنا وكان له سماع مطرب وغيرة مفرطة

ان شئت فاستر على سماعك أو * ان شئت يوما فعطل السترا
فان عندي من العفافة ما * تحمده منظرا ومختبرا
أمكن أذنى من السماع ولا * أمكن ألحاظ عينى النظرا

باب المحادثة

فاما سبب النديم الذى هو رأس ماله وأنفس أعلاقه فهو المحادثة وهى أخف اللذات مؤنة وأقلها اتعابا للحاسة وقد قيل لشيخ فما بقى من لذاتك قال استماع الملح (وقال) المهلب العيش كله في الجليس الممتع وجوّد على بن العباس الرومى

وشممت كل ما ارى * فكأن أطيبها الخبيث
الا الحديث فانه * مثل اسمه أبدا حديث

وسألت فنن وهى جارية أريبة كانت من آدب الجوارى فى زمانها

مسلما المعروف بالمتيم فى مذاكرة جرت بينهما طويلة فقالت أى الامور عندك ألذ وأشهى محادثة الرجال أم استماع الغناء أم الخلوة بالنساء فقال سألت عن أمور لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم ولا الغناء الا بشرب النبيذ ولا الخلوة مع النساء الا بالموافقة وسعة القدرة قالت فأى الثلاثة تختار قال محادثة الرجال ومثل قوله لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم قول الآخر تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن الاستماع امهال المحدث حتى ينقضى حديثه وقلة التقلب الى الجواب والاقبال عليه بالوجه والنظر والوعى لما يقول وان تصغى الى حديثه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا أطرافك بعمل ولا قلبك بفكر ولا تسابقه الى حديث يبدأ به لمعرفتك بذلك الحديث بل تريه من الارتياح له والتعجب منه ما توهمه أنه لم يخطر ببالك ولا وقر فى سمعك وأمتع الناس حديثا أحسنهم افهاما ومن أدب الحديث أن لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وان يتوصل الى اجترار ما يشاكله ويسبب له ما يحسن أن يجرى معه فى غرضه حتى يكون بعض المناوضة متعلقا ببعض على حسب قولهم فى المثل الحديث ذو شجون يعنى بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى معان كثيرة وأن لا تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتعد باتمامه كأنك رويت فيه بعد ابتدائه وليكن التروية له قبل التفوه به فان احتجار الحديث بعد ابتدائه سخف ولا يتسع للنديم من العذر فى اكثار الصمت ما يتسع للكاتب لان ذلك ينزل من الكاتب على الفكر فى

تدبير الاعمال ونظم الامور والانتظار لان يسئل فيجيب أو يستشار فيصيب وهو من النديم عى وانقطاع وقلة امتاع كما قال بعض أصحابنا

وصاحب أصبح من برده * كالماء فى كانون أوفى شباط
ندمانه من ضيق اخلاقه * كانه فى مثل سم الخياط
نادمته يوما فالفيته * متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد أوهمنى أنه * بعض التماثيل التى فى البساط

وقال بعض العلماء اذا لم تمكن المحدث أو المحدث فقم ومع ما قلناه من اكثار النديم الحديث فاحلى لحديثه وأحسن لموقعه أن يتنكب منه الطوال ذوات المعانى القلقة والالفاظ الوحشية التى يفنى باقتصاصها زمان المجالس وتتعلق بها النفوس وتحبس على أواخرها الكؤس فان ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص ولم يزالوا يمدحون الاحاديث بالقصر كقول امرئ القيس

وحديث الركب يوم هنا * وحديث ما على قصره

وقال آخر

اذا هن حدثن الحديث قصرنه * ومنيننا أن الحديث يعاد

وقال عبد الله بن المعتز

بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر وما سواه كلام

وقال آخر

كم من حديث قصير لى أصيد به * قلب الفتاة وأشعار أسديها

وقال آخر لا تجعلوا مجالسكم حديثا كله ولا انشادا كله ولكن

امن جوه واجعلوا له من كل شئ نصيبا * ومن أدب الحديث أن لا يكثر المحدث التبسم والقهقهة * وقال نجاح بن سلمة للمتوكل لما دعاه الى منادمته فى خصال لا تصلح معها منادمة الخلفاء قال وما هى قال سلس البول وأتبسم اذا حدثت ولا أقدر من الشرب على اكثر من رطلين فقال له من حق صدقك عنها ان نسامحك بها فعملها * وقد اختلف رأيهم فى موقع الحديث على الطعام فاستحسنه قوم وكرهه آخرون وهو من صاحب المنزل والمائدة أحسن منه من الآكل والزائر كما قال بعضهم

صادف زادا وحديثا ما اشتهى * ان الحديث طرف من القرى

(ويستجاد قول بعض المحدثين)

كيف احتيالى لبسط الضيف من خجل
عند الطعام فقد ضاقت به حيلى
أخاف ترداد قولى فاحشمه
والصمت ينزله منى على البخل

(واكل) عندى بعض الجلة من النبيذيين فسمعنى وأنا أحمد الله عز وجل فى وسط الطعام لشئ خطر ببالى من نعمه التى لا تحصى فنهض وقال أعطى الله عهدا ان عاودت وما معنى التحميد فى هذا الموضع كأنك أردت ان تعلمنا انا قد شبعنا ثم مال الى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالا

وحمد الله يحسن كل وقت * ولكن ليس فى أولى الطعام
لانك تحشم الاضياف فيه * وتأمرهم باسراع القيام

وتؤذيهم وما شبعوا بشبع * وذلك ليس من خلق الكرام
ولست أرى بالحديث من الزائر والمزور بأسا الا أن أحسن حديث
النديم على الطعام وأليقه بالحال التى هو فيها أن يكون فى معنى الطب
وذكر الاغذية ومحمودها ومكروهها فان أحس من صاحبه بخلا
صلح أيضا أن يذكر له طرفا مما جاء فى تخفيف الطعام والتملؤ منه
والاخذ بقدار الحاجة اليه وما يقيم الجسم دون ما يتعرض به للتخمة
وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا البطن اثلاثا ثلثا طعاما
وثلثا شرابا وثلثا نفسا ثم مثل قول متمم بن نويرة

لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات اروعا

يريد أنه كان يؤثر الاضياف بالزاد على نفسه وهو لا يستوفى منه
شبعه وقال المبرد لانه كان يؤخر العشاء الى الليل انتظارا للطارق
وقول حاتم

وانى لاستحيى رفيقى أن يرى
مكان يدى من موضع الزاد بلقعا
وكنت اذا أعطيت بطنك سؤله
وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

وقول الآخر البطنة تذهب الفطنة وقول الآخر عاهة الشبع
أشد من عاهة الجوع وقول بقراط الاقلال من الضار خير من
الاكثار من النافع ثم ان استشاره فى نقل أو عشاء لم يشر عليه
الا بما الطف من النقل وحاده عن الطعام وخوفه عاقبته وان كان
مضيافا كولا ذاكره بما يعجبه ويشا كل مذهبه فى اجادة قوة الشهوة

للاكل والاكثار منه وما فيه من اللذة كقول بعضهم الاطيبان الاكل والنكاح وكقول الآخر

حسن اكل الفتى يدل على ايـ ـناسه ضيفه وبسط اكيله
وتراه يقل منه فيدعو * ذاك أضيافه الى تخيله

(وحكى) أن الحجاج أصبح جائعا فقال لجلسائه ما خير الغداء فقال ابن القرية بواكره أيها الامير قال ولم ذلك وهل هو كذلك فى كل أوان قال نعم ان كان الزمان شتاء فلطول الليل وهضم المعدة للطعام وان كان قيظا فلبرد الماء وقلة الذباب

باب غسل اليد

قد اصطلح الناس على اجلال رؤسائهم وملوكهم عن غسل أيديهم بحضرتهم واستجاز واذلك مع نظرائهم ومن يسقط التحفظ بينه وبينهم ولو آثر الناس الاعتزال لغسل الايدى من الغمر مع كل طبقة حتى لا يرى بعضهم بعضا لكان ذلك عندى أليق بالظريف وأشد امكانا لما يحتاج اليه من استقصاء الغسل والمبالغة فى التنظيف واجالة الانامل فى اللهوات والخلال فى الاسنان وتفله وما أشبه ذلك مما لا يشك أحد ان ستره عن عين المحب والمبغض والرفيع والمتواضع أحمد من اطلاعه عليه ومحال ان يكون الرؤساء والملوك ذهبوا الى غير هذا المذهب وأن يظن بهم فيه الكبر ويوهم عليهم العجب وأن المرء يتأذى أن يرى ذلك من نفسه فكيف من غيره وربما يحسن الرئيس و يجمل فيقول لنديمه اغسل يدك مكانك

ولا تنزع فالغبي يتفهم ذلك والفطن يأباه ويغلب الادب فيخفف على الادب ويستفيد الخطوة ويأمن الاول التثقيل فيثقل ولو كان الحكم في هذا اوجب من الترتيب فيه والاجتماع عليه مثل ما توجبه المرآة كان الحسن أن تجتمع الايدي في الطست الواحدة كما تجتمع في مائدة واحدة هذا بعد الطعام فاما قبله فجائز أن تغسل اليد بين يدي الرئيس والنظير في طست واحدة وغسل رجل مع المأمون يده وابطأ الطعام فسبقته يده الى رأسه فقال له المأمون أعد غسل يدك وقال لاولى غسل اليد الا الخبز وقال رئيس سنن العرب المضمضة والسواك والاستنجاء ورئيس سنن العجم الخلال وغسل اليد قبل الطعام وسبيل رب المنزل ان يبتدئ بغسل اليد فيكون أولا قبل الطعام وآخرا بعده يبتغي في الاول حشمتهم وفي الحالة الثانية يتوخى تعجيل اماطة اذى الغمر عن أيديهم هذا مع الاكفاء والمعاشرين فاما العظماء من ذوي السلطان فالاولى بمنادمتهم المبالغة في التخفيف عن أعينهم وقلوبهم والتناهي في اعظامهم وتبجيلهم فاما الخلال والانفراد به والتخلي له فاصون وأحسن على كل حال

باب ادارة الكاس

فاما حكم الكاس في ادارتها فان الادب فيه موافق لسنة الاسلام ومذهب الجاهلية لم يغير وهو ولم يبدل به لانه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه أتي بسقاء من لبن فشرب منه وكان عن يمينه غلام حدث السن وعن يساره رجل من مشيخة أصحابه فدفعه عليه السلام الى

الغلام وقال الامين فالامين وهما يدل على مذهب الجاهلية في مثل
هذا قول عمرو بن عدى وجماعة من العلماء ينسبون ذلك الى عمرو
ابن كلثوم

تصد الكاس عنا ام عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة ام عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

باب الاكثار والاقلال

ومما يغلط فيه أكثر المنادمين وجمهور المتعاقرين افتتاح الشرب بالقدح الصغير والترقى منه الى الكبير وهم بالابتداء بالكبير في حال جمامهم وحاجتهم الى هضم طعامهم وأبين نجاسهم أولى حتى اذا ترضوا وانتشوا كانوا بالنزول الى الصغير أولى وبالابقاء على عقولهم أحرى وربما لم يكن غناؤهم ممتعا فيعني تعجيلهم الطرب بالكبير على تقصيره ويغطى ارتياحهم على عيوبه ولو صادفهم على غير تلك الحال لحقهم الفتور وقل نشاطهم للكبير فاما الاكثار والاقلال فليس النديم فيهما مختارا ولا علمنا أحدا تبين منه كبير عقل على النبيذ والاغلب على أكثرهم اجبار النديم على الشرب والحيف عليه واستثقاله اذا أبى وامتنع أو تمنع ولا عيب على النديم في السكر اذا كان مجبورا عليه كما وصفنا وتغفر له فرطاته وعثراته كما قال العطوى

فمن حكمت كاسك فيه فاحكم * له باقالة عند العثار

وكما قال على بن الجهم

والقوم اخوان صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل به نسب
تنازعوا درة الصهباء بينهم * وأوجبوا الرضيع الكاس ما يجب
لا يحفظون على السكران زلته * ولا يريبك من أخلاقهم ريب

والاصل في هذا ما يحكى عن المأمون من قوله النبيذ بساط فاذا رفع فاطووه الا أن يكون النديم هو المستدعى للشرب والمواصل للشرب من غير ثقة منه باحتمال ذلك فيلزمه التبعة وتعصب به الجريرة فاما الرئيس ذو الملك والامر النافذ فلو كان السكر أو مقاربته حلالا لا اختلاف فيه لكان عليه حراما لا اختلاف فيه لان بادرته الى نفسه وغيره لا تستقال وأمره لا يراجع لانه يقهر ولا يقهر ويجبر ولا يجبر عليه وقلما سمعنا بحادثة فظيعة وغدرة قبيحة وسطوة عظيمة اجتازها ملك وجناها على نفسه أو نديمه أو حميمه أوسائر من يخصه الا على سكر ثم يقع عليه بعد ذلك الندامة ويلحقه ما لا يتلافاه من العار والمسبة فمن تهيأ عليه ذلك من ملوك الجاهلية جذيمة بن مالك الابرش صاحب الحيرة وغيره منهم ومن ملوك الاسلام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فانه لم يزل يهمل الامور ويواصل السكر مصطبحا ومغتبقا حتى انتشر أمره واضطرب حبله فقتل وجماعة كثيرة كان السبب في هلاكهم وهلاك من يخصهم اختيارهم السكر ومطالبتهم به ندمانهم ولو ذهبنا الى تعدادهم وشرح قصصهم لخرجنا بالكتاب عن حده

باب طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ

ويقبح بالنديم ان يستميح الرئيس على سكره فانه يرى ان ذلك يجرى
مجرى الخديعة ويدخل فى باب الحيلة وذكروا ان بعض الاجواد
لم يكن يعطى أحدا على الشراب شيئا حتى يصحوا اشفاقا من أن
يقال ان السكر حداه على السماحة وكان ذلك فيه عارضا فان عدل
عن المسئلة فى أمر نفسه واستماح لغيره كان ذلك داخلا فى باب
حسن المحضر والحض على الكرم وخرج عن باب التغنم واللؤم
فانه يقال ان كثرة الاخذ لؤم كما ان كثرة الاعطاء كرم * وكان العتابى
واقفا بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له العتابى ان رأيت أن
تعلم أمير المؤمنين مكانى فقال لست بحاجب فقال قد علمت ولكن
ذو فضل وذو الفضل معوان فقال له سلكت بى غير طريقى فقال له
ان الله عز وجل قد أتحفك بجاه ونعمة وهما مقيمان عليك بالزيادة
ان شكرت وبالتغيير ان كفرت وأنا لك اليوم خير منك لنفسك
أدعوك الى ما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك على ولكل شئ زكاة
وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل الى المأمون فاخبره الخبر فامر
للعتابى بثلاثين ألف درهم فاما اذا لم تشب المجالسة والمحادثة النبيذ
والمراضعة ودفعت ضرورة الى المسئلة فالاحسن فى ذلك أن لا يبتدئ
بالسؤال محضا وان يتوخى له من الاحاديث والمعاريض ما يندرج
السؤال فى تضاعيفه على ألطف ما يمكن فى ذلك وأقربه من النادرة
والفكاهة كما فعل المفضل الضبى وبات المهدى فلم يزل يحادثه
ويناشده حتى جرى ذكر حماد الراوية فقال له المهدى ما فعل عياله
ومن أين يعيشون قال من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد

باب هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه

وحكمه ان يحضر بزي الموكب ولبسة الخدمة والزي الظاهر الذي
يعرف به ويشهد فيه المجالس الحافلة من غير أن يتفضل بشيء من
ثيابه ولا يتشهر فان شاء الرئيس أن يغير زيه ويكرمه بشيء من ثيابه
تخلع عليه الملون والمشهر من أثواب الندام حسن أن يلبس ذلك
في وقته حتى ينقضي المجلس ولم يحسن أن يحضر فيه ظاهرا في مجلس
آخر لانه شيء كان الرئيس اختاره في ساعة طربه وتبذله لا في كل
أوقاته فاما العمامة والخف فسبيله أن لا يخل بهما وله أن يلطفهما
ويخففهما وانما الغرض في ملازمتهما أن لا يحسر الرأس وتبدو
القدم ويذهبون بذلك الى اجلال السلطان العظيم عن مشاركته
فيما اتسع له من التبذل والتخير في الزي الذي لا مشقة ولا ثقل فيه
والانفراد منه بما يتفصل به عمن هو دونه وهذا مما يسلك فيه سبيل
ملوك الاعاجم وكانوا رسموا لكل طبقة من طبقات أهل ممالكهم
برسم من الزي ليتميزوا ولا يشتبه سوقة بملك ولا دنيء بشريف ولا تابع
برئيس ولكل أهل عصر زي الا أن الاكثر والاشبه بأهل عصرنا
وما قرب منه ما ذكرنا والجبة في استحسانه وايثاره ما بيناه ومما يأخذ به
نفسه الاسراع في الخطو اذا كان حيث يراه الرئيس حتى تكون
مشيته ارقالا ولا تكون اختيالا ولهذا وما أشبهه من التحفظ صار
ندام النظير أنعم وأترف وان كان ندام العظماء أجل وأشرف وخبرت
عن الطبقة العالية من ندماء الخلفاء الماضين انهم كانوا يجمعون

فى منزل أحدهم فاذا مشى بعضهم فى ذلك الموضع مشى مسرعا وسئل أحدهم عن السبب فى ذلك فذكر انه انما يفعله فى كل موضع وان كان لا يلزمه الا فى مجلس الخليفة حذرا من أن يخل بالعادة فيعدل عنها فى موضعها فاستحسنت تلك الرياضة * ومما يلزمه أن يتحفظ منه أيضا ويروض نفسه به أن لا يصحبه ولا يعيبه ولا يشمته ولا يستخبره وانما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب وليس من حق المنادم ذا الرياسة والسلطان اذا تبين لنديمه منه لين الخلق ووطاء الكنف وخلع ثوب الكبر أن يستعمل معه من الدالة ما يجحده حق رياسته ويقدح معه فى سلطانه ويفسد عليه تدبيره ويقال ينبغى لمن خص بالسلطان أن يستعد للذنب ليجتنبه وأن يكون آنس ما كان به أوحش ما يكون منه فان سلم من ذلك كله فواجب عليه أن لا يخل بتوقى الملال والتحرز من وقوعه وقد قال عبد الله بن جعفر من أعظم الخرق الدالة على السلطان * وبينا المأمون ينادم ابراهيم بن المهدى بعد رضاه عنه وتجرده ما كان منه تبين منه دالة اذ كرته بما تقدم من ذنبه فنهض وأمر باقراره ومن كان معه على حالهم ثم صار الى مجلس جده فاستوى على سريره وتزيا بزى الخلافة واختصر القضيب وتجابب بالبردة وجمع الجنود فى السواد والاسلحة وعدد السلطان وشهرت السيوف والاعمدة ثم احضر ابراهيم معتناما وفالما مثل بين يديه اطرق عنه مليا ثم رفع رأسه وابراهيم يرعد فقال يا ابراهيم ما حملك على ما كان منك قال كرسى خلا من صاحبه يا أمير المؤمنين فكنت جديرا بحفظه عليه

حتى أعاده الله اليه وقد سبق من عذر أمير المؤمنين ما لا أخاف عليه المؤول عليه فقبل عذره وأحسن جائزته ورده الى مكانه وعاد المأمون فى مجالس الندام من وقته (وخبرنى) أبى عن أبيه رحمهما الله قال كان ينادم اسحق بن ابراهيم الطاهرى جوهرى من جلة التجار ووجوههم حتى خص به وتبين لطف موقعه منه ولم يكن أحد يتقدمه عنده وكانت فيه دالة ومعه أدب يستحق له تلك المنزلة قال فانه لمعه ذات يوم والستارة منصوبة اذ وصف للمتوكل فص كبير جليل المقدار كان وقع الى هذا الجوهرى فوقع الى اسحق باحضاره هذا الرجل ومطالبته بالفص ومناظرته على ثمنه ووافى التوقيع فلما نظر اليه دعا بالجلادين والسياط فامر بتجريد الرجل فقال أيها الامير ما قصتى ما سببى فلم يذكر له شيأ حتى نصب بين العقابين وكاد السوط أن يأخذه فلما علم انه قد رهب وسكر قلبه من الرعب والهيبة ما أنساه الدالة والمنادمة قال له فص عندك من حاله وصفته فقال احضره الساعة فيأمر الامير باطلاقى حتى آتيه قال لا سبيل الى ذلك فدعا بدواة وقرطاس وكتب وهو فى تلك الحال الى ثقته فى منزله بعلامة قوية وأمر باحضاره الفص فاحضر فى منديل وختم عليه وأنفذه ثم قام بنفسه الى الرجل فتولى حل وثاقه واعتنقه وخلع عليه من فاخر كسوته وقال لم يكن من حق السلطان الا ما رأيت ولو لم أفعل ذلك لما أمنت دالتك ولا كنت بمخرج مثل هذه العقدة النفيسة بجميع اعطائك ولحقنى من امير المؤمنين ما يفسد حالى وحالك فسكن الرجل الى عذره وقبله

باب ما يلزم الرئيس لنديمه

قد ذكرنا من حال الرؤساء فيما يستبدون به دون ندمائهم بجلال السلطان وخطر الرياسة ما أوجزناه وليست تلك الحال خاصة الا للملك الاجل الذي لا يسعه الاخلال بالهيبة فاما من دونه فالانصاف في المنادمة واغلاق باب التدفع والتحفظ وايثار الانبساط والتبذل أولى بهم وأدل على كرم العشرة وحسن الصحبة وعلى انه قد كان من الخلفاء والامراء من يتوخى هذه الحال مع جلسائه ومنادميه كفعل عمر بن عبد العزيز وطرقه رجاء بن حيوة فنهض فاصلح السراج وعاد الى موضعه فاكبر ذلك رجاء فقال قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر * ويزيد وكان ينادم الاخطل وهجا الاخطل الانصار هجاء كثيرا فاجاره منهم وكان يسوي بينه وبينه في أكرم المواضع من مجلسه وهو أمير * والوليد بن عقبة ولم يزل ينادم أبا زبيد الطائي واليا ومعزولا على وتيرة واحدة من الانصاف لا ينتقل عنها ويجله ويعظمه ولا يقدم أحدا عليه حتى هلك أبو زبيد فوجد عليه وجدا شديدا ثم اعتل فيقال انه دفن الى جانبه ومر بقبريهما اشجع ابن عمرو السلمي ومعه صديق له يقال لهما حمزة وسعيد فوقف بهما ثم قال

مررت على عظام أبي زبيد * رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد ثوى فاضحى * مجاور قبره قبر الوليد
وما أدري بمن تبدأ المنايا * باشجع أو بحمزة أو سعيد

فيقال انهم ماتوا على هذا النسق اولا اولا * والوليد بن يزيد بن عبد الملك نديمه أبو كامل الذي يقول فيه

من مبلغ عنى أبا كامل * أنى اذا ما غبت كالذاهل

وحكى عن الرشيد من حسن المجالسة ولطف البر في المؤاكلة ما يجاوز هذا كله وهو ان الفزارى قال دخلت اليه برقة في قصر الخشب ولم يكن معه احد ثالث غير من يقوم بين يديه من خاصة حشمه فتحاورنا مليا ثم أومأ الى بعضهم فجاء بطبق كبير مغطى بمنديل فاستخرج رطبة فأكلها ثم استخرج أخرى فأومأ بها نحوى فقمت فتناولتها وقبلت يده ثم أمر برفع المنديل فلما رفع لم أر في الطبق شيأ فقال انه كان فيه رطاب أهدى لنا من العراق ولا تحين الرطب ولم يكن في غير ما رأيت فعلمت انه أمر بتغطيته لئلا أرى قلته فامتنع من أكل الرطبة التي ناولنيها وآثرها على به * وقد رأينا جماعة من جلة الرؤساء وعظماء أصحاب السلطان يبتذلون أتباعهم ويمتهنونهم في الخدمة فيما يرفعون عن مثله بعض مماليكهم فاذا خلوا معهم للمنادمة استوت بهم العشرة فاوسعوهم من المبرة والتكرمة وربما تجاوزوا في ذلك الحد فخدموهم وأخدموهم أولادهم واتصبوا وأنكروهم وتأخروا في المجالس وصدروهم فلا يقدح ذلك في رياستهم ولا يحط من منزلتهم بان تسترق لهم قلوبهم ويستخلص به نياتهم وأنشدني منشد

فتى اذا ما الحرب قامت به * قام مقام الاسد الورد

كأنه عبد لاخوانه * وليس فيه خلق العبد

وقال

(وقال آخر)

واني لعبد الضيف ما دام نازلا * وما في الا تلك من شيم العبد

ويلزمه أن لا يسقيه من غير ما يشربه الا باختياره واستدعائه شرابا يستصلحه ويرى انه ملائم لجسمه فيسقيه مما يلتمسه من موجوده ولا يمنعه كل ما يستزيده من المزاج ٣ ولو لم يتجنب ما ذممناه في تلوين الشراب الا لما سار في هذا المعنى من قول الشاعر

رأيت نبيذين في مجلس * فقلت لاخواننا ما السبب
فقالوا الذي نحن في بيته * يفضل قوما بسوء الادب

وقال العطوي

نبيذان في مجلس واحد * لتفضيل مثر على معسر
فلو كنت تفعل ذا في الطعام * لزمت قياسك في المسكر

وكان بعض الكرماء يأخذ نفسه باحضار الدن بطينه فيصبه حيث يراه اخوانه ومنادموه فيبزله بين أيديهم ويملأ منه الآنية حتى يتيقنوا ان الشراب واحد لا خلط فيه * ومن أبين الانصاف في هذا الباب ان يفرد كل نديم بآلته ومزاجه ويحكم على نفسه ويقلد ساقيها على حسب طاقته واحتماله الا من كان متجملا غير متسع في الآلة والآنية فيهما العجز وتعذر عليه من ذلك فان العدل في السقي يمكنه ولا يعجزه ويستحسن لابي نواس نحو هذا

واست بقائل النديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه
تناولها والا لم أذقها * فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكني أجيد الكاس عنه * وأتركها بغمزة حاجبيه

٣ قوله ولو لم الخ جواب لو محذوف تقديره لكفى مثلا

فان طلب الوساد لنوم سكره * دفعت وسادتي أيضا اليه

ومثله قول السرى بن عبد الرحمن فى ظرفاء من الجازين

اذا أنت نادمت العتير وذا الندى
جبيرا ونازعت الزجاجة خالدا
أمنت بحمد الله ان تقرع العصا
وان يوقظوا من نومة اسكر راقدا

وخالف الحسين الضحاك أبا نواس فى ابياته فقال

يا مدير الكاس حييت * على الكاس مديا
ما أقول الدهر أحسنت * وان كنت مسيا
لست استعفيك من حيث * قلت فى السقى عليا

وفيها يقول

قد حلبت الدهر طورين * خليا وشجيا
فأرى من عدم الصحو * والكاس شقيا

وجود بعض الكتاب فى قوله

ولست بمستعف من السكر صاحبا
اذا كان يهوى ان اصير الى السكر
ولكنى أسعى الى السكر وائتنا
بما فيه ان اخطأت من سعة العذر
وان هو أعفانى سكرت ولم أكن
لاكثر من شرب يزيد على القدر

باب الادب فى الشطرنج

واما الشطرنج فليس غرضنا ذكر فضائلها فنعدد من ذلك ما نسهب فيه ونأتي بما ذكره المتقدمون ونجتهد في الزيادة عليه وانما نتوخى التنبيه على ما يحتاج اليه النديم في حال اللعب بها من الادب الذي يقرب به من قلب رئيسه عند مقابلته اياه بجمعهما على الشطرنج فانه لا يكون بينهما الا مساحة الرقعة ولعلها لا تزيد على الذراع كثيرا والزمان بينهما يطول فيها فواجب على النديم ان يتحفظ من نفسه ويتعهد من احوال ظاهر جسمه و باطنه وشاهده وغائبه ما يأمن معه أن يسبق الى طرف الرئيس وانفه من جهته حال يذمها وايكن على اوكد ثقة بنقاء فيه من الخلوف وثوبه من الدنس ومغابنه من الدرن بتوفية هذه الاشياء حقها من التنظيف والتطييب وليس حق نفسه عليه اذا كان عالي الطبقة ان يخسها حظها ولا يحطها عن درجتها توهما ان تماديه للرئيس ألطف لمنزلته عنده وأعطف بقلبه عليه كأنه ليس من الرئيس المصطفى له عليه أن يتصور بصورة من يغالطه و يستخرج منه باعطائه ما ليس له وعلى ان عقول الرؤساء أقوى وفطنهم أرق من أن يجوز عليهم مثل هذا ولم توضع الشطرنج على الانصاف والعدل ويدلك على ذلك ان أصلها التكافؤ والقيام اذا وفي النظار والحساب من كلا الجهتين حقهما وأخبرني أبو الحسين علي بن أحمد الكافي ان أبا بكر الصولي لما حضر مجلس المكتفي بالله أمير المؤمنين في ابتداء دخوله وكان قبله الماوردي أثيرا عنده متمكنا من قلبه معجبا بلعبه فلما لاعبه الصولي بين يديه جعله حسن الرأي في الماوردي والالف له على نصرته وتشجيعه

وتنبيه حتى أدهش ذلك أبا بكر في أول وهلة ثم لما اتصل اللعب بينهما وقصد أبو بكر قصده غلبه غلبا لم يكد يرد عليه معه دستا وتبين الحق للمكتفي فعدل عن الهوى وقال الماوردي صار والله ماء وردك بولا * وبلغني أنه رأى بساتين مونقة وزهرا حسنا فقال لجلسائه وندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل قال فيه شيأ ذهب فيه الى مدحه ووصف محاسنه وانها التي لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا فقال لعب الصولي أحسن من هذا الزهر ومن كل ما تصفون * ومما يستعمل على الشطرنج النوادر المدهشة وأقول انها في تلك الحال بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله المقاتل عند اللقاء والحادي عند الاعياء والماتح عند الاستقاء فهي من عدة اللاعب كما ان الشعار والارتجاز من آلة المحارب وقد قيل في ذلك

كم من ضعيف اللعب كانت له * عونا على مستحسن القمر

واست أستحسنها الا في موضعين * أحدهما عند وقوفك على الضربة الغريبة الحسنة الدقيقة وامكانها اياك بان يكون اللعب لك وفي يدك مثل الشجاع الذي اذا رأى مساغا نبه صحبه وان شغلت نفسك بتلك الاعابيث وانت تحتال للعب مرتا للغاب انقطعت بذلك عن الصواب وان لم يكن اللعب في يدك نبهت بما يظهر في ذلك العبث من نشاط خصمك على تنقد ما لاح لك فتهر زمنه * والآخر عند وقوفك على امكان الضربة الجيدة لصاحبك وتهيئها له دونك فانت بما تستعمله في تلك الحال تشغله وتدهشه حتى يكاد يعمى عن رشده واذا كان القمر لك فاحسن احوالك الترك على الاحسان ان كنت مختارا وكذلك ان

انصل القمر عليك لان الالحاح واللجاج لا يزيدك الا بلادة وقد قيل في الشطرنج اشعار كثيرة فاما طوالها فيكثر فيه الحشو بما اضطر اليه القائل من الاقتصاص وقلما اقتصت حال في شعر الا كان مضعوفا الا أبياتا كثر الشك فيمن تعزى اليه وأولها

أرض مربعة حمراء من أدم
ما بين خلين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها
من غير أن يأتيا فيه بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على
هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى خيل جاشت بمعرفة
في عسكرين بلا طبل ولا علم

وأبياتا تعزى الى أبي الحسين أحمد بن محمد بن ابي البغل الكاتب وهي

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها
غرائب لا تسمو لها عين جاهل
فابصر أعقاب الاحاديث في غد
بعيني مجد في مخيلة هازل
وأجدى على السلطان في ذاك أنه
أراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريفه ما فيها اذا ما اعتبرته
شبيه بتصريف القنا والقنابل

قوله خيل تحرك باوزة الوزن اه مصححه

وفاما النرد ففيها انواع من اللعب وصنوف من الترتيب والنصب الا ان عدد البيوت واحد لا نقص فيه ولا زيادة على الاصل المتعارف والفصان فيها محكمان وصاحبها مع ذلك وان لم يكن مختارا وكان منقادا الى حكم الفصين محتاج الى ان يكون سريع النقل رشيقه صحيح الحساب مصيبه حسن الترتيب جيده ولبعض الادباء فيها أبيات وهى

لاخير فى النرد لا يغنى ممارسها
فضل الذكاء اذا ما كان محروما

تريك أفعال فصيها بحكمها
ضدين فى الحال ميمونا ومشؤما

فما تكاد ترى فيها أخا أرب
يقرنه القمر الا كان مظلوما

(وكتبت الى صديق لى اذم النرد اليه وكان بها معجبا)

أيها المعجب المفاخر بالنرد
دايزهى به على الاخوان

قد لعمرى حرصت جهدى على ليـ
ـت كذا لو لم يا تك افصان

غير أن الاريب يكذبه الظن
ويفنى بشدة الحرمان

ولعمرى ماكنت أول انسا
ن تمنى فما خلقته الامانى

وإذا جاءت القضاة بحكم
لم يحد عن قضائها النعمان

وأنشدت لأبي نواس في النرد

ومأمورة بالأمر تأتي بغيره
ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا
إذا قلت لم تفعل فليست مطيعة
وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

انتهى بنا القول الى هذه الغاية وفي بعض ما قدمنا كفاية لذي التمييز والفطنة وهداية الى كريم الاخلاق في المنادمة وان لم نكن أحطنا بما في بشرطنا في التثبت فقد نبهنا بيسير ما تهيأ أن نذكره على الجليل ودللنا بالقليل منه على الكثير ونرجو أن نسلم مع ما قصدنا له من الحض على جميل المروءة ونهجنا من السبيل الى حسن العشرة مما يعني به مؤلف الكتاب من المطاعن ويستهدف له من المعايب ان شاء الله تعالى

نحمدك يا من زينت الانسان بحلية الادب ورفعت به شأن النديم فسما أسنى الرتب والصلاة والسلام على أشرف من تكملت به الآداب وأفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله أولي الاخلاق الشريفة وأصحابه ذوي المناقب والفضائل المنيفة (وبعد) فيقول المتوسل بجاه النبي الخاتم خادم التصحيح بدار الطباعة محمد قاسم قد تم بالمطبعة الاميرية ببولاق التي أينعت

ثمارها بسائر الآفاق طبع أدب النديم المسفر عن كل خلق جميل قويم لمؤلفه العلامة الفاضل النحرير اللوذعي الكامل مرصع أطروس بلآلئ نظامه محلى نطاق البلاغة بجواهر كلامه من تجمعت ورق ألفاظه بفنون الادب على أفنان المعارف وأشرقت مطالع بيانه بانوار بدور اللطائف أبي الفتح محمود كشاجم ابن الحسين أنعم الله تعالى عليه فى دار الكرامة بما تقر به العين ولعمرى انه لكتاب عديم المثال عزيز الوجود بعيد المنال يرشدك كيف تنادم الملوك والامراء وينبهك على شمائل الظرفاء والطفاء فلله دره ما أثمن درره وما أبدع فوائده وغرره يروق الانظار بسلاسة مبناه ويعجب النظار بجزالة معناه هذا وكان طبعه الفاخر ووضعه الانيق الباهر على ذمة من حمدت اراؤه فيما يعيد ويبدى سعادة محمد بك حمدى فى ظل من نضرت به الايام وشملت بهم لوامع احسانه الانام صاحب السعاده وكوكب أفق السياده والمجاده من هو باحاسن الثناء علم حقيق الخديو الاعظم محمد توفيق لازالت مصرنا آمنة به فى ظلال رياض عدله رافلة فى مطارف عزه وفضله مشمولا طبعها بادارة صاحب نظارتها المشمر عن ساعد الجد فى تحرير انضارها وانضارتها من جوادير اعه فى ميدان البراعة سباق الى الغايات سعادة على بك جودت مدير الوقائع المصرية وناظر المطبوعات ملوحة بنظر من به المعارف الى ذروة الكمال رقت وكيلها حضرة عبد الله افندى خيرت وملاحظة البارع الامجد حضرة ابى العينين افندى احمد وطالع

بدر غمامه وفاح عبيره ومسك ختامه في أوائل رجب الحرام
عام ثمان وتسعين ومائتين وألف من
هجرة سيد الانام صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه
وكل ناسج على
منواله
تم